الفصل الثامن

المصيدة تتمزق

كان فيتولينس يقف خلف كلوس عندما اقتربت ٢٠٨ اس من حافة الرصيف فى « كيل » يوم ٢٩ سبتمبر عام ١٩٥٤ .

فى وضح النهار استطاع الرجل أن يرى مجموعة صغيرة من خمسة رجال يقفون على أرضية الرصيف .

رغم دقة دروس لوكاسيفكس إلا أنه لم يدرب أو يعد ضابط كى ـ جى ـ بى على مواجهة النظرات الحادة والمصافحة الخالية من الإخلاص التى كانت فى انتظاره وهو يخطو فوق الأسمنت المبلل .

كان سيلارجس هو البادىء بالحديث وهو يحاول إخفاء توجسه عند تقديم أفراد المجموعة « اليكس » الذى هو بيركيس وبوبس وهو لاتفى اخر وفريد عميل اس ـ أى ـ اس المقيم فى هامبورج ثم سكوت الذى كان يبدو بوضوح أنه هو المسئول الكبير .

ثم تبادل كلمات قليلة بين أفراد المجموعة قبل أن يغادروا الرصيف لركوب سيارتين تتوجهان إلى ٨ جولف ستراسى .

وفور دخول المجموعة إلى إحدى الفيلات المملوكة للـ اس ـ أى ـ اس تلقى فيتولونيس أمراً بخلع ملابسه لأخذ حمام وترك الملابس فى غرفة مجاورة وفيما كان مغموراً فى الماء راوده الشك فى أنهم يفتشون ملابسه وتصور أن هناك مرايا سرية عاكسة لمراقبته . وقد حدث فعلا أن قام الخبراء العاملون تحت قيادة سكوت بتفتيش الملابس للتأكد من أن مرتدى هذه الملابس عاش فى الغابات الرطبة .

وتوقعا لمثل هذا الأمر قضى فيتولنيس الأسبوعين السابقين قبل رحيله فى مخبأ حتى تحمل ملابسه رائحة الغابات ومع ذلك عثر ضباط اس ـ أى ـ اس على علبة كبريت جافة مما أثار فضولهم .

وإزاء صعوبة المغادرة قال سكوت بعد ثلاثة أيام هانحن قابعون هنا فى هامبورج لأن الضباب الكثيف يحول دون إقلاعنا .

وإزاء هذا الوضع قضى فيتولنيس حوالى أسبوعين ومضيفيه أيامهم فى المطاعم والبارات وكان ثلاثة أشخاص يتناولون الطعام معاً وهم فيتولينيس وسكوت وفريد وتم استبعاد سيلارجس وبيركيس .

وفى الغالب كانت المحادثات بين الثلاثة تحمل طابع الاستجواب إلا أن سكوت لاحظ خطورة سيادة مناخ الاتهامات وأخذ يبتسم للحيلولة دون تراكم الجليد .

وعندما تقرر شد الرحال إلى لندن لم يكن السحاب قد زال تماماً واستطاعوا فى النهاية بعد أربع محاولات من الهبوط فى فيرفورد .

بعد الوصول تم اقتياد « البارتيزان » إلى مقر إقامته المؤقت فى لندن وهو عبارة عن شقة صغيرة مريحة تقع فى ٢ سلوان ستريت فى مقابل حمل هارفى نيكولاس الفاخر فى كيفتبردج .

بعد انتهاء فترة التوتر فى هامبورج فوجىء فيتولنيس بمفاجأة سعيدة بعد يوم من وصوله وتتمثل فى دعوته إلى حفلة فى هامبستيد ترافقه نورا داشوود مساعدة ماكبن وكان هذا الأخير يحتفل فى قصر باكنجهام بحصوله على وسام او ـ بى ـ أى وكانت الحفلة فى منزل ماكبن تقام بمناسبة تقاعده .

كان المشاركون فى الحفل الذين يدركون الظروف حريصين على عدم الإشارة إلى ان تقاعد الرجل كان سابقاً لأوانه فقد كان فرعه يعانى من أزمة مستمرة منذ الربيع وهاهو ماكبن يسقط كأول ضحية للأزمة .

وقد تم تقديم سكوت إلى فيتولنيس على أنه خليفة ماكبن . وكان الضحية الأكثر خطورة هارى كار الذى وافق على الانتقال إلى العمل فى كوبنهاجن كضابط مقيم فى عام ١٩٥٥ . ورغم جهود الإدارة فى إخفاء عملية تنزيل رتبته وإعطائه فرصة قبل التقاعد للحصول على بدلات العمل الكبيرة للقيام فى الخارج إلا أن الأجيال الأقل سناً فهموا أن هناك شيئاً ما خطأ حدث خلال حقبة هارى كما أن الإشاعات ترددت كذلك خلال حفلة ماكبن .

كانت الشقة الصغيرة فى ابيردار جاردنز مكتظة بزملاء من برودواى والمهاجرين فى مراحل مختلفة من الثمالة متجاهلين فى غمرة السعادة عذاب العقد الماضى .

لقد كـانوا من الجيل الذى لبى طلبـات القادة العسكريين للحصول على معلـومات استخبارية من وراء خطوط العدو .

وكـان يبدو أن الإسراف فى احتسـاء الوسكى والفـودكا بمثـابة احتفـال بالتـزام المضيف بالنضال .

كان فيتولنيس يشرب مع مجموعة تعتقد أن الحرب مازالت مستعرة دون أن يكون هناك سلام أبداً .

وفى الـوقت الذى كـان الجيل الجديد فى بـرودواى لتنـاول الشاى وبعـد ذلك يتم تخصيص وقت كـاف يرافـق فيتولنيس السـاحرة نورا داشـوود فى نـزهة حـول كنيفتسبردج ، كان المحامى الصغير الأصلع يكرر أسئلته ببطىء على فيتولنيس وتدور حول أسرته وعمله وأصدقائه .

ونظراً لأن المحقق لايعرف اللغة اللاتفية أو الروسيـة فقد كان يوجه الأسئلة باللغة الألمانية وكان عدم تمكنه من الحصول على أى اشـارة متناقضة بمثابة شهادة لاختيار لوكاسيفكس لهذا الجاسـوس . فقد تحدث فيتولنيس بالحقيقـة كلها مع بعض الحذف وبلغت الأمور ذروتها فى اليوم التاسع عندما قرر تغيير المسار بطريقة درامية .

فيتولنيس ـ لقد تخرجت من الجامعة الماركسية بدرجة فى الفنون .

المحقق ـ إذن أنت ماركسى ؟

فيتولنيس ـ نعم أنا ماركسى قـالها وهو يصرخ بصوت مرتفع متصنعاً الغضب . وأرفض أى استجواب جديد .

وهنا تدخل سكوت قائلاً : نحن نعرف أنك ماركسى .

ورد فيتـولنيس لقد مللـت من أسئلتك إذا لم تكن تثق فى أعـدنى إلى بلادى مـرة اخرى .

سرعان ماسـاد الغرفة صمت مطبق تبـادل خلاله الانجليزيان النظـرات ثم غادرا الغرفة

يدين ماكبن لعدم قبوله أو فهمه لتغير الظروف منذ عام ١٩٤٥ وكانت وجهة نظر أولئك الموجودين فى هـامبستيد هذه الليلـة أن الكفاح ضد البلشفية لم يتـوقف أبداً وأن الحرب ضد النازيين كانت قطيعة بائسة أو حتى فرصة ضائعة .

إن وجود فيتولنيس فى الحفل هو رمز للفشل فى فهم طبيعة الأزمة الخانقة فى ريدر ستريت وبرودواى والتى ثارت بعد رفض ماكبن بانفعال الأمر المؤقت بالتوقف عن إرسال عملاء ، وكان يجادل كار بأن تفاهة غضبه واحدة لاتكفى لكى يرفض المرء الكدمة كلها ولقد بلغ الغضب والعداء ذروته مع رحيل ماكبن رغم أن أحداً من المشاركين فى الاحتفال يمكن أن يفهم الظروف كاملة حتى ماكبن نفسه .

وفى اليوم التالى انتهى الجو غير الرسمى وتم اقتياد فيتولنيس إلى مبنى ضخم بدون اسم فى فيكتوريا ستريت للقاء سكوت وأحد المحامين المجهولين والذى قدم بجفاف إلى فيتولنيس على أنه المستجوب ومع ذلك لم يخيم على الجو شعور عدائى أو محموم إنما كان هناك أربع ساعات من الاستجواب يومياً يتخللها استراحة .

بعد وقت قصير عاد سكوت إلى الغرفة ليعلن أن الرجل ليس عميلا من عملاء كى ـ جى ـ بى ثم غادر ثانية ورغم ذلك مازالت الشكوك تراوده ، وكان سكوت والمحقق على اقتناع بأن فيتولنيس موضع شك إلا أنهم قرروا أنه يمكن تحقيق المزيد من المكاسب عن طريق بدء عملية خداع بدلا من هدم العلاقة .

ولم يخبر ضابطا اس ـ أى ـ اس سيلارجس بمخططهما وتم السماح له ان يطمئن بلدياته أنه اجتاز الاختبار .

وفور مغادرة المحقق للغرفة ظهر سيلارجس وهو يحمل زجاجة ويسكي وهو يصيح ـــ هيا نحتفل ـ ولكن فيتولنيس تساءل : لماذا كانوا فى شك منى ؟ وهنا رد سيلاراجاس إنها المياه فى إشارة إلى العينة التى تم تعبئتها من الاوراك . وهنا تساءل فيتولنيس مياه ؟ وهنا جاء سلاراجاس بنسخة أولية من من طلب اس ـ أى ـ اس الذى تسلمه ايرجليس قائلاً إذا كان ـ اوجست ـ إشارة إلى ايرجليس خائف جداً من الذهاب إلى الأورال فإنه يمكنه غمر الزجاجة فى نهر داوجافا فى وسط ريجا واذا كان يريد أن يمارس حماقة معنا فإنه يستطيع أن يتبول فى الزجاجة ولكن بدلا من ذلك أرسل إلينا عينة من المياه مشبعة بالإشعاع لدرجة أن أى شخص يعيش فى المنطقة المجاورة لهذه المياه لابد أن يموت فوراً والذين يستطيعون مزج هذه المياه هم رجال كى ـــ جى ـ بى فقط .

استبدت الحيرة بفيتولنيس حيث كان لوكاسيفكس دون أن يعرف هو وجد من الصعب تلبية طلب اس ـ أى ـ اس نظراً لان معلوماتهم حول وجود مفاعل يقع على نهر توبال فى الأورال كانت معلومات خاطئة حيث لايوجد مفاعل يعمل فى البحر .

وإزاء ذلك طلب لوكاسيفكس من المركز فى موسكو إعداد عينة من المياه ولن يجرى تحقيق داخلى للتعرف على الفاعل وأخذ العالم المختار على عاتقه مهمة إحاطة الملتقى علماً بالإنجازات العظيمة التى أحرزها التقدم العلمى فى روسيا . لم يكن لوكاسيفكس يتصور أن يصل غباء موسكو إلى حد تعريض العملية برمتها للخطر بالمبالغة فى تصوير قوة المفاعل لدرجة لاتصدق وعشية تنفيذ حكم الإعدام فى بيريا انهار ترتيب موسكو تماماً .

وبينما كان يعب الويسكى فيم فيتولنيس موقف سيلاراجاس وقد رأى المهاجر عدم وجود ميزة شخصية فى إعلان أن فيتولنيس أو مجموعة روبرتس ليسوا موضع ثقة ، كان اللاتفيون فى المنفى يريدون من البارتيزان ــ الأنصار ـ ان يدعموا آمالهم السياسية ويحافظوا على وضعيتهم فى لندن ووجودهم المستمر . فقط هو الذى أدى إلى استمرار تمويل الحكومة البريطانية للبعثة . ووجد فيتولنيس ميزة تكتيكية فى تأكيد شكوك سيلاراجاس والتى عبر عنها أيضاً سكوت فى أن هناك احتمالاً باختراق مجموعة روبرتس وأن إيرجليس غير موثوق به وفى ذات الوقت أكد أن مجموعة ماكسيس مازالت سليمة .

بعد أن انتهى فيتولنيس من شرح وجهة نظره لاحظ ترحيب سيلاراجاس بوجهة النظر هذه نظراً لأن أى نتيجة أخرى ستؤدى إلى تحقيقات جديدة بشأن مجموعة ماكسيس وربما نهاية عمليات اس ـ أى ـ اس فى لاتفيا وليتوانيا واستونيا .

وهنا لن يغفر زارنيس والزعماء المهاجرون لسيلاراجاس إذا بادر بأى إجراء يؤدى إلى توقف عمل المخابرات البريطانية فى البلطيق ليس فقط لأن ذلك سيسد الطريق أمام مصير دولهم ولكنه سيؤدى بصورة كبيرة إلى التقليل من أهميتهم فى نظر وزارتى الخارجية البريطانية والأمريكية وكان من مصلحة سيلاراجاس الشخصية أن يدرك هذه الحقيقة .

وافق سكوت على دورة تدريبية لفيتولنيس قبل أن يعود إلى لاتفيا ولكن بدلاً من أن يذهب إلى المدرسة فى تشيلسيا فإن المدربين سيأتون إلى سلوانى ستريت ، ولم يكن بسبب عزله عن باقى العملاء سراً فقد قال له سكوت أنت موضع ثقة ولكن كى ـ جى ـ بى اخترقت صفوف البارتيزان ، وقد وضح أن فيتولنيس هو الذى وقع ضحية الوهم فقد كان سكوت متأكداً من وجود ثغرات فى عمليات البلطيق إلا أنه يحتاج بعض الوقت حتى يتحقق من هذه الشكوك دون إفساد أى ترتيبات سابقة .

كـان بيركس واوبانس وعمـلاء آخرون عـائدون قد خضعـوا لإعادة استجـواب وأعربوا عن اعتقـادهم أن مجموعة ماكسيس محل ثقـة وقد بدا أن هذا الـرأى قد تأكد خلال العام الذى قضاه كليمكانس فى لندن مؤخراً ، وذلك من واقع خبرة إس ـ أى ـ إس مع احتمال أن يكون قد تم اختراق روبرتس .

ورأى رجال إس ـ أى ـ إس ضرورة تعليم فيتـولنيس لبعض المهـارات واستمرار ظهوره بعد أن لاحظوا استمتـاعه بجو الحرية والمرح الذى يسود لنـدن ، والاستضافة الرقيقة من جانب سكوت ونورا داشوود .

فى واقع الامر بدا فيتولنيس راضياً عن حياته وسط الرأسماليين كما هو متوقع من مقاتل من أفراد البارتيزان المناهضين للشيوعية .

فى الوقت الـذى استمرت فيـه التحريات بـدأت عملية تدريـب فيتولنيس على تعلم مبادىء تشغيل جهـاز الإرسال وتزوير جـوازات السفر إلى جانب مباريـات فى إسقاط الرسائل الميتة فى منتزه هايـد بارك مع ضابط صغار وكيفية العمل تحت ضغط المراقبة فى منتزه ريجنتس ، والشىء الذى لم يعرفه ضباط إس ـ أى ـ إس أن تلميذهم استخدم نفس المهـارات فى تحرير تقـريـر متقدم إلى لـوكـاسيفكس فى ريجا يحتوى كل مـايتم التخطيط له .

كان هناك تصور مشترك يجمع بين فيتولنيس وسيلاراجاس حيث اعتقد الرجلان شكوك مبعثها فقط المياه المشعة إلا أن الحقيقة تـؤكد أن هذه الشكوك قامت على أسس أكثر رسوخاً من هذا .

فى وقت سابق من هذا العام أبلغ بول هـارتمان خبير المخابرات المركزية فى شئون لاتفيا جورج بيليك رئيس قسم البلطيق فى واشنطن عن وجود مشاكل تواجه لينويدس برومبرج الـذى تم إنزاله فى لاتفيـا يوم ٦ مايـو ، وكان برومبرج قـد أصر على أن يقوم بنفسه بعملية التحرى عن مصير ليونيدس زارنيس وسيلتقى مع اديفينس اوسوانيس شخصيا والذى لم يكن معروفاً للمخابرات المركزية الأمريكية أنه يتعاون مع كى ـ جى ـ بى فى ريجا .

جاءت عملية إنزال برومبرج كما أكد فى إشارته القصيرة بالراديو بعد عملية ناجحة تماماً ولم يـلاحظها أحد وبعد أن دفن بعـض معداته استقل القطار إلى ريجا وقـد أثار وجوده المفاجىء دهشة أصدقـائه القدامى إلا انهم قبلوا تفسيره بأنه عائد من الترحيل

فى سيبيريا ووفروا له مكانا ينام فيه .

وفي يوم ١٢ مـايو وبعد السماح لبرومبرج ببعض الـوقت للتأقلم مع الجو أرسلت وكالـة المخابرات المركزيـة الامريكية رسالـة بالبريد العادى إلى اوسـولنيس تطلب منه مقابلة أحد رجالها فى المقبرة « فوريست » وكـان هذا أول خيط يقود كى ـ جى ـ بى إلى معرفة وصول العميل الجديد .

أصدر بـوندوليس تعليماتـه إلى اوسولنيس بـأن يجرى اتصالاً مباشراً فـوراً مع برومبرج ثم يتفقا على موعد آخر وجـاء اللقاء ميلودراميا حيث كان اوسولنيس يسير فى مؤخرة موكب لتشييع جنـازة حاملاً باقة من الزهور لم يكن متـوقعاً أن يرى الضابط الذى دربه فى السـابق إلا أنه فوجىء ببرومبرج واقفاً أمامه ، وفعـلاً تم الاتفاق على لقاء آخر ثم افترق الرجلان .

كان بـوندوليس حاسماً إزاء مصير بـرومبرج حيث أن المطلوب هـو عدم السماح لعميل المخابرات الأمريكية بإرسال أى تقاريـر استخبارية يمكن مقارنتها مع التقارير المرسلة إلى اس ـ أى ـ اس كان لابـد من القبض عليه فى اليوم التـالى وقد أشرف فيفيرز شخصياً على العملية للحيلولة دون ابتلاع برومبرج لأقراص السيانيد .

فى أول استجواب جـذر بوندوليس العميـل برومبرج من النتائج المترتبـة على عدم تعاونـه إلا أن برومبرج اعترف بالمكان الـذى أخفى فيه المعدات وهدف مهمتـه من بناء الشبكـة التى فشل تلاميـذه فى تنفيذهـا بنجاح كما أعلـن عن نوايـا وكالـة المخابـرات المركزية الأمريكية فى المستقبل .

وفيما بين الاستجوابات قـام اوسولنيس بتهدئة خاطـر برومبرج وشرح له المأزق الذى وقع فيه واقترح عليه أن يقبل التعاون مع كى ـ جى ـ بى بعد كل هذا لايوجد أى دليل على أن روسيا تعد العدة للهجوم على الغرب والحياه تبدو فى لاتفيا أفضل مما كان متوقعـاً وتدريجياً بـدأ بوندوليس فى الاقتناع أن بـرومبرج رغم ماهو معـروف عنه من عداء شديد للشيوعية ربما يكون قد اقتنع بالتعاون مع كى ـ جى ـ بى .

لم تراود وكـالة المخابـرات الأمريكية أى شكـوك بعد حول صمت جهـاز الإرسال الخاص ببرومبرج نظراً لأن اوسـولنيس قـد أرسل رسالـة خطية يـؤكد فيهـا أن اللقاء بينهما تم فى سلام وأن جهاز إرسال برومبرج قد تعرض للتلف ويمكن إصلاحه .

لم تكن مـوافقة برومبرج فى النهـاية على التعـاون تثير أى شك أو مفاجـأة ، وجاء

السيناتور الذى اعده بوندوليس لإرسال إشارات إلى واشنطن ليقترح أن الرجلين يستعدان لمغادرة ريجا وضرورة إرسال عميل جديد بدلاً منهما .

حمل برومبرج من بين معداته عدداً من جوازات السفر البيضاء وطوابع شرطة لتزوير تأشيرة دخول ميناء مورانسك للهروب على ظهر سفينة شحن يطلبها مالزم الأمر قبل موعد الهروب وكانت هذه هى الخطة المتفق عليها مع هارتمان .

العقبة القادمة أمام بوندوليس هى كيفية الحيلولة دون ان تتضمن أول رسالة رمزية لبرومبرج أى إشارة إلى أنه وقع بين يدى كى - جى - بى .

من المعروف أن كل شخص يستلم جهاز إرسال بالراديو له أسلوب فى طبع مفتاح مورس يكون معروفا لدى المستقبل تماماً مثل خط اليد .

وهناك أحد الفنيين فى ألمانيا الغربية مكلف بالتقاط ونسخ رسالة برومبرج وهو فنى متمرس بأسلوب برومبرج الشخصى فى الإرسال ، كما اتفق هذا الفنى على وجود انحراف طفيف فى الأسلوب فى إرسال خطابات معينة لإبلاغ عن وقوعه فى قبضة كى - جى - بى ، لم يكن بوندوليس يدرك هذه الوسائل فقد حذر برومبرج قبل أول رسالة من اللجوء إلى الخداع .

وصلت رسالة برومبرج الأولى إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى شهر يوليو وتضمنت تقريراً استخبارياً موجزاً أعده خبراء ومحللون فى شارع لينين كما تضمن أنباء عن اعتزام برومبرج واوسولنيس مغادرة روسيا .

ماذا عن الموقف فى واشنطن؟ اعتقد هارتمان والمسئولون الآخرون فى الوكالة أن برومبرج مازال حراً طليقاً رغم الفجوة بين الرسائل .

مع حلول عام ١٩٥٣ وبعد أن أصبح تعاون برومبرج مع كى - جى — بى شيئاً عادياً بدأ بوندوليس بإهمال فى تخفيف حدة الرقابة على برومبرج ، الذى استغل الموقف وقام بإجراء تغيير أو انحراف طفيف فى شريط إشارة موريس ليكشف أنه وقع فى قبضة كى - جى — بى إلا أن أحدا لم يلاحظ مغزى هذا التغيير سواء فى واشنطن أو المانيا الغربية.

ومع ذلك أدى التحليل الدقيق لتقاريره الاستخبارية إلى إثارة نوع من سوء الفهم . فقد كانت رسائله الخالية من أى معلومات عسكرية أو إشارة إلى أن الاتحاد السوفيتى يقوم بالتعبئة للحرب تشبه المسكنات .

وعلى الرغم من أن هـذه النوعية من المعلـومات كانت تحوز قبول اس ـ أى ـ اس خلال خمس سنوات إلا ان سى ـ أى ـ إيه كـانت تريد المزيد . ومع ذلك أرسل هارتمان تقريراً إلى برومبرج يتضمن الاستعدادات لإجلاء العميلين عن طريق ميناء مورمانسك .

من خلال الـوقت ذاته كان فـرع البلطيق فى المخابـرات المركزية الأمـريكية يتلقى رسائل متباعدة من ليتوانيا وكانت كى ـ جى ـ بى تستقبل كوناس كوكاوسكوس الذى خان لوكشـا فى إرسال تقارير استخبارية وطلبـات بالمساعدة بواسطـة جهاز الارسال الذى تم الاستيلاء عليه قبل تدمير المخبأ .

ولكن رغم وجود العميل باولوس سيرفيس وهو فنى يعمل على جهاز الإرسال حراً طليقـاً فى الغابـات فإن المخابـرات الامريكيـة كانت متأكـدة منذ وقت طـويل أن جميع عملائهـا قد لقوا حتفهم وأن الـرسائل التى تصل عن طريق أجهـزة الإرسال بالـراديو مصدرها كى ـ جى ـ بى .

وفى وقت لاحق من عام ١٩٥٤ وصل خطاب من سيرفيس ورغم تعـرضه للخيانة والقبض عليه فى وقت لاحق من ذلك العـام إلا أن محللى المخابرات الأمريكيـة ارتبكوا فى الحكم على ماإذا كانت شكوكهم بعد ذلك كله قائمة على أساس قوى .

وخوفاً من فقد عميلين جديدين تم إنزالهما فى استـونيا قرر بيليك إيفاد لويزا بيدرا فاس وهى أمـريكية من أصل ليتوانى إلى لندن لمقـارنة الرسائل الـواردة إلى المخابرات الأمريكية بتلك التى وصلت إلى اس ـ أى ـ اس من البلطيق .

أمضت بدرا فاس ثـلاثة أسابيع فى برودواى خلال شهرمـايو ١٩٥٤ . كان هناك تناقضات طفيفـة فى الرسائل الواردة إلى الوكالتين ونقص فى صلب الموضـوعات الهامة طوال الفترة وتطـابق مذهل فى المعلومـات الواردة من مجموعـة البارتيزان فى الغـابات بتقريرها كان بيليك وهارتمان وفايفادا يتوقعون ماهو أسوأ .

على أى حال وافق هارتمان على خطة أخيرة بإجـلاء برومبرج وبعث برسـالة إلى « العميل » تخبره أنه سيتم إرسـال طائرة صغيرة إلى حقل قريب من الشـاطىء ، وعند اقتراب الطائرة عليه أن يقوم بإضاءة ثلاث مشاعل توضح مكان الهبوط .

بناء على تعليمات بونـدوليس تم إبلاغ برومبرج الرسالـة وصدق على الخطة ، وفى الليل غادر مقره فى لينين ستريت . وفى الحقل تم مد حبل من السلك حول منطقة الهبوط حيث ينتظر رجال كى ـ جى ـ بى .

وكما هو متوقع سمع صوت طائرة صغيرة وتم إضاءة المشاعل وكان العملاء السريون يراقبون الطائرة وهى تدور ثم تبدأ فى الهبوط وسرعان ماعادت إلى الاختفاء فى ظلام الليل الدامس .

وفى تبادل لاحق للرسائل أبرقت المخابرات الامريكية فى ألمانيا الغربية أن طاقم الطائرة أبلغهم بفشلهم فى رؤية المشاعل .

اعتقد بوندوليس أن الطيارين كانوا خائفين وفضلا العودة لكن الحقيقة أنهم تلقوا أوامر بعدم الهبوط . فقد كان هدف الرحلة هو الإبقاء على برومبرج حياً .

سرعان ماتبددت جهود سى ــ أى ـ إيه للإبقاء على الاتصالات مع برومبرج للتخطيط لهروبه عبر ميناء مورمانسك رغم العواقب المحتومة على حياة العميل الذى تعتمد عليه الخطة .

لقد كان شعور هارتمان متبلد إزاء هذه الخسارة ، وفى أعقاب ذلك تم تعيينه ليتولى منصب فى مجال مكافحة أنشطة التجسس المضاد تحت قيادة انجليتون .

لقد جاء إنهاء عمليات المخابرات المركزية الأمريكية فى البلطيق متزامنا مع بيان علنى ألقاه جون فوستر دالاس أمام الكونجرس قال فيه : « إن الشعوب الأسيرة لابد أن تعرف أننا لم نتساهل » ورغم أن الأمر بقى سراً إلا أنه كان مفهوماً أن الإدارة الأمريكية لن تفعل شيئاً حقيقياً لإنقاذ هذه الشعوب .

لقد صادفت محاولات زرع عملاء فى روسيا عن طريق حدود فنلندا وتركيا وإيران فشلا ذريعا نتيجة العقبات القاهرة التى صادفت الجواسيس فى روسيا والتى تتمثل فى المساحة الجغرافية الشاسعة والطقس القارس والتوتر الرهيب ، علاوة على أن المخابرات المركزية الامريكية كانت على وشك استخدام طائرة التجسس يو ٢ مما قلل من أهمية العنصر البشرى فى التجسس باهظ الثمن .

وما أن تأكد بوندوليس أن رسائل المخابرات الامريكية أصبحت عديمة القيمة توقف عن ممارسة عملية الخداع . وتم الحكم بالسجن لمدة ٢٥ سنة على برومبرج ونفيه إلى سيبيريا حيث مات على مايبدو بأزمة قلبية وهو يلعب كرة السلة . أما سيريفيز فقد حكم عليه بالسجن لمدة ٢٥ سنة وتم إطلاق سراحه بعد قضاء ١٩ سنة .

لقد كانت أزمة إس ـ أى ـ إس أكثر خطورة . حيث هناك حاجة لنوعيات خاصة

لإدانة خمسة أعوام من النجاح . ورغم أن التحقيقات المشتركة التى أجريت بالتعاون مع بيدار فاس قد أثارت شكوكاً جدية استمرت شبكتا لاتفيا والشبكات الثلاث العاملة فى ليتوانيا تتظاهر بالعمل فى حرية .

أشار تحليل لعمليات ليتوانيا إلى أن الظروف التى أحاطت بالقبض على أحد العملاء فى مارس ١٩٥٣ واسمه بول جانيتز كاس (جوارس) الذى وصل عام ١٩٥٠ للعمل لحساب ديكسنيس يمكن أن تنسب إلى سوء الحظ علاوة على أنه لاتوجد شكوك تحيط باختفاء عميل آخر هو الجيس لوكماناس . كما ان أولئك الذين مازالوا يبعثون برسائل لم يضمنوها أى إشارات تفيد أنهم يعملون وهم تحت سيطرة كى ـ جي ـ بي .

وجاء تقرير من زيجمانس كوديركا الذى عبر مع (ادموندس) فى خريف عام ١٩٥٢ أفاد أنه يعيش مع أحد الحدادين فى إحدى المزارع . لم يكن هناك شيء قد تغير خلال العامين الاخيرين حيث كان يختبىء فى النهار تحت سطح المنزل ويغادره فى الليل للتنزه وكان يرد على رسائل برودواى كما هو مقرر ، ويقوم بإرسال تقارير « ادموندس » التى تأتيه عن طريق وسيط متعاون . ونظراً للاعتقاد السائد أن كوديركا حر طليق لم يكن يرى برودواى أى سبب يدعو إلى التفكير فى العكس .

اما اتصالات برودواى مع عميلين آخرين فى ليتوانيا وهما البنياس (انستياس دوكايتيس) وميك (انستياس برشلوتاس) اللذين كانا يعيشان فى مدن صغيرة فقد كانت تسير على نحو مريح كذلك .

ممثل آخر عن البارتيزان ـــ الأنصار ـ أمضى ستة أسابيع فى لندن وكرمه زيجمانس عاد مع أحد الفنيين لتشغيل جهاز الإرسال .

وخلص سكوت بعد التشاور مع كار إلى انه نظراً لاختلاف خبرة اس ـ أى ـ اس عن الـ سى ـ أى ـــ إيه فإنه سيكون من الخطأ التوصل إلى نتائج مفزعة رغم أن مؤشر الميزان يشير إلى تزايد الشكوك .

كإجراء وقائى قررت اس ـ أى ـ اس اختبار شبكة استونيا وأرسل ريبان رسالة إلى البارتيزان يطلب فيها ضرورة إرسال أحد قادتهم إلى لندن فوراً للتدريب .

وكإجراء ناجم عن الشك الطفيف من جانب اس ـــ أى ـ اس من احتمال حدوث اختراق من جانب كى ـــ جى ـ بى عندما جاء رد الاستونيين بأن جون يمكن أن يلتقط

بواسطة كلـوس فى الأول من نوفمبر فى سيرديما تم اتخاذ قرار بإنزال عميـل آخر هو ـ هارى ـ على نفس الرحلة .

كان من الواضح أن إس ـ أى ـ إس مازالت تعتقد أن الاختراق محصور فى مجموعة روبرتس .

ذهب ريبان إلى كييل لاستقبال « جون » وبعد فترة إقامة قصيرة كشف الاستونى عن هويته باسم ولتر لوكس بعدها طـار الرجلان إلى لندن ، وهناك تم استجواب عضو البـارتيـزان لعـدة أيام ولم يتـم الاستجواب بـاللغـة الـروسيـة كما طلب المحقق إنما بالاستـونية حيث ادعى لوكـس أن لغته الروسيـة ركيكة ، قام ريبـان بدور المترجم فى المحادثـة التى أصبحت لحسن حظ لـوكس الذى يتحـدث الروسيـة بطلاقـة محادثـة ركيكة . جـاءت الأسئلة بطـريقة نمطية ودارت حـول حياة العميل الاستـونى وخلفيته العائلية .

وفى نهاية الأسبـوع أكد ريبان والمحقق ارتيـاحهما إزاء عضو البارتيـزان الذى تم إرسالـه إلى مدرسة هـولاند بارك لتلقى التـدريبات ، وهى المكان الـذى كان حتى وقت قريب مخصصا لتدريب الأوكرانيين .

اعتمد سكوت مثله فى هذا مثل ماكبن على تقييم ريبان حول « بلدياته » نظراً لتوافر جميع الأسباب للثقة فى تقييم ريبـان الذى كان ضابطاً بارزاً سـابقاً فى اس ـ أى ـ اس وقادراً على شم رائحـة الشيوعيـة والتجسس وهو نفس الـرأى الذى يحملـه ريبان فى نفسه . إن كان ريبان يعتقد أن خبرته الطويلة لاتجعل شيئاً يغيب عن ملاحظته .

وفى أعقاب تـدريبات عـادية قـام ريبان بتقـديم لوكس إلى اوجست تـورما سفير استونيا فى لندن .

وكما هو مطلوب انحنى الزائر تحية لسعـادة السفير وقدم المهاجر ومعه صندوق صغير بداخله حفنة تراب وقال لوكس : « إن هذا تراب من وطنك الحبيب » بعد أن تلقى السفير الهدية ـــ وكان أقل سفـراء دول البلطيق واقعية ـــ أخذ يسرح بنظـره ويناجى نفسه حول ضرورة وحتمية الحرب فى المستقبل القريب لتحرير الوطن .

وكان اللقـاء الثانى للـرجلين فى الحفلة التى أقيمت فى مقـر البعثة يـوم ٢٤ فبراير ١٩٥٤ للاحتفـال بالعيـد الوطنى لاستونيـا ، وكان ريبـان يقف فى وسط الاحتفال بين أفراد الجالية الاستـونية فى الملتقى يتراقص على عقبيه كالعادة بعـد أن كان قد احتسى زجاجة سكوتش .

بـالقرب من ريبـان وقف لـوكس الذى حـرص على إخفـاء سبب وجوده فى لنـدن يتحدث بحماس عن فظـائع الشيوعيـة وفجأة قام أحـد الضيوف بأخـذ ريبان جـانباً وهمس فى أذنه وهـو يشير إلى لوكس .. هل ترى هذا الـرجل ؟ إننى أعرفه من استـونيا حيث التحق بالجيش الأحمر عام ١٩٤١ ووصل إلى رتبة ميجور .

هـراء ! رد بذلك عميل اس ـ أى ـ اس السكـران وقال لقـد كان جنـدياً هـرب من وحدات الرماية وبعدها بقى لوكس لمدة أربعة أشهر فى لندن .

فى الجانب الآخر من كينسينجتون تأكدت الثقة مرة أخرى فى اعضاء البارتيزان فى مقر مفوضيـة لاتفيا وخلال تناول الشـاى فى أيام الأحاد المتعاقبة حيـث كان يتم دعوة فيتولنيس لمقـابلة زارنيس وسيلاراجـاس . فى حين تقوم ماريـان زارنيس ابنة السفير بالعزف على البيانو فى أحد أطراف صالة الاستقبال الواسعة يناقش الرجال الثلاثة على أنغام الموسيقى مستقبل حكومة لاتفيا الحرة ، وعندما حان وقت مغادرة فيتولنيس بعد تسعة أسابيع لم يكن لدى أى مهاجر أدنى شك حول مصداقية ضيفهم .

مع مرور الوقت تأكدت شكوك سكوت إلا أن فيتولنيس الغارق فى السعادة لم يكن مدركاً بما يخبئون ، وطوال فترة إقامة فيتولنيس دعاه سكوت عدة مرات لتناول وجبات الطعام ورافقـه إلى كمبردج وهو يشير إليه بسعـادة « هذه هى كليتى القديمـة » وكرر وهو يقف فى المدينة العتيقة موجهاً كـلامه إلى فيتولنيس ـ سأكون دائما على ثقة فيك ـ وقد بدا هذا الكلام لفيتولنيس دليل على الاخلاص .

بـدا على فيتولنيس الاقتنـاع بنجاح مهمتـه عندمـا أخبره سكوت أنـه بعد قضـاء أسبوع إجازة سيعود إلى بلاده .

وقبل أن يغادر فيتولنيس أكد سيلاراجاس ثقته فيه من جديد وطلب منه أن يحمل رسالة إلى رجالهم هنـاك وقام بتسليمه مظروف وعلبة مملوءة بـالأدوية وفى هامبورج قضى ليلة تقليديـة ممتعة ، وقبل أن يغادر مباشرة عرض عليه حبـوب السيانيد ولكنه رفض . بعـد أن ارتـدى ملابسـه التى جـاء بها سـافر وحـده على ظهـر ٢٠٨ اس إلى بورنهولم انتظاراً لتحسن حالة الطقس ثم تم إنزاله على ساحل لاتفيا .

إن التقارير التى قـدمها فيتولنيس فى شارع لينين والتى بدأت فى مطلع ينـاير عام ١٩٥٤ واستمرت لمدة شهرين لم تـرض لوكاسيفكس بسهولـة رغم أن الميجور حاول إخفاء عدم ارتياحه .

وفى حين بدا من الواضح ان فيتولنيس حاز ثقة سكوت فإن الأسباب التى اختير على أساسها مثل الجهل والبراءة كانت تمثل نقصا وعيبا فى التقارير التى قدمها .

ورغم أن فيتولنيس ضابط مخابرات محترف إلا أنه كان أيضاً فناناً ربما بدا إخلاصه الحقيقى حمل اقتناع فى لندن . إلا أن هذا الاخلاص أثار الشك فيه بعد عودته .

كان فيتولنيس متأكداً من نجاح مهمته إلا أن عودته بدون مواد أو عملاء جدد توحى بالعكس . وانحصر أمل لوكاسيفكس فى إمكانية احتواء الأضرار باستمرار وصول المعلومات الاستخبارية والحفاظ على عملية الخداع بالنسبة لعملاء اس ـ أى ـ اس الاثنى عشر الذين مازالوا يعيشون مع البارتيزان ، وكتجربة إضافية أصدر أوامره بإلقاء القبض على كورت كرومنيس عميل اس ـ أى ـ اس الذى يعيش مع مجموعة روبرت وتكهن أن تؤدى عملية القبض هذه إلى إرباك إس ـ أى ـ إس إلا أن الحقيقة التى لم يستطع أن يعترف بها هو أو فيفيرز أن عملية لارسن اس قد تغيرت جذرياً .

لم تعد أنشطة لوكاسيفكس بعد الآن مناورات لخداع اس ـ أى ـ اس ولكن محاولات للحد من الإضرار التى تلحق بـ كى ـ جى ـ بى واكتشاف الاخطاء لتى وقعت .

وهكذا أصبحت نسمات التباهى بالنجاح فى لينين ستريت فاسدة بسبب الإحساس بالإحباط وعدم الجدوى ، فمع عدم وصول أى عملاء جدد خلال شهور الشتاء واحتمالات الخمول فى الخريف ومارافقها من سيل الطلبات الواردة من برودواى لحصول على معلومات من مجموعة ماكسيس تستلزم السفر إلى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى .

بدأ المركز فى موسكو يشك فعلا أن البريطانيين بدأوا يمارسون اللعبة بالعكس وتريد تحليل المعلومات المزيفة التى تلفقها كى ـ جى ـ بى ، وخلص إلى أن تحليل أبعاد المعلومات المزيفة التى تبعث بها كى ـ جى ـ بى يمكن أن يكون ضارا بنفس الدرجة التى تنجم عن المعلومات الصادقة التى تتلقاها اس ـ أى ـ اس .

أدى انعدام وصول أى معلومات موثوق بها من لندن إلى تعقيد مهمة كى ـ جى ـ بى ومع ذلك ظل لوكاسيفكس يعتقد فى إمكانية الوصول إلى حل يتمثل فى العودة إلى منهج دزيرزهنيسكى التقليدى فى زرع عميل بين صفوف اس ـ أى ـ اس لاستعادة ثقتهم ، وكان المرشح المثالى لهذه المهمة هو كليمكانس الذى أدت علاقاته الوثيقة مع زارنيس وسيلارجاس إلى إبرام اتفاق لندن .

خلص لوكاسيفكس إلى أن وجود كليمكانس فى بـرودواى هو الطريق الوحيد لبعث عمليته أو إلحاق ضرر دائم بـ إس ـ أى ـ إس .

وتقوم خطـة العمليات « التى تمت لمساتها الأخيرة فى تـرست » على اتخاذ خطوات جديدة فى اللحظـة المناسبة عند اكتشـاف عملية الخداع لمضاعفة متـاعب الضحية وهو ماحدث عام ١٩٢٩ عنـدما نجحت كى ـ جى ـ بى عن طريق أحد عمـلائها الذين طلبوا حق اللجوء الذاتى بعد اعتراف تلقائى فى تحويل انتباه أجهـزة المخابرات الغربية عندما اعترف أن ـ ترست ـ قـد أقامها ديزيرزهنيسكى عمداً لخداع المخابـرات الغربية بعد أن أدلى بتفاصيل مؤكدة اختفى ليعاود الظهور فى موسكو بعد أن نجحت كى ـ جى ـ بى فى تحويل انتباه الغرب . عن منشقين حقيقيين والتركيز على علاج أخطائهم الذاتية .

فى عام ١٩٥٥ بناء على أوامر من الدائرة الثانية فى مركز موسكو كلف لوكاسيفكس كليمكانس بأداء مهمـة مماثلة للتغلب على بـدء تفكك مصيدة كى ـ جى ـ بى الأصلية بإعـداد مصيدة جـديـدة عن طريق مهمـة كليمكانـس لتدمير العـلاقة بين الـلاجئين المهاجرين و اس ـ أى ـ اس عن انشطة اخرى تنفذها كى ـ جـى ـ بى وإثارة الشكوك حول علاقة اس ـ أى ـ اس مع مصادر المعلومات الأخرى .

بـدأ تنفيذ المؤامـرة الجديـدة بإرسال إشـارة فى يـونيو ١٩٥٥ من مـاكسيس إلى جبرائيل تقترح عودة كليمكانس إلى لندن مع زوجته للعمل كضابط اتصال لفترة طويلة فى ٢٢ اغسطس جاء الرد من سيـلاراجاس . « موافقون ولكن هنـاك خطر » واستطرد قـائلاً : « لقد تعـرضت مجموعـة روبـرتس لعدد من حـوادث القبض على أعضائهـا » ولايمكن إرسال قارب إلى كورزيم ولأسباب أمنية أنصحك بالبحث عن طريق آخر سواء عن طريق السويد أو ألمانيا . وبسبب شعور لوكاسيفكس بعدم الجدوى فقد تقبل الرد على معناه الظاهرى إلا أن حسابات المركز فى موسكو كانت أكثر واقعية .

مع حلول عـام ١٩٥٥ شددت الـرقابة حـول حدود الاتحاد السـوفيتى البرية مع الدول المجاورة وأصبح من المستحيل تأمين طريق برى للخروج كما أن الاقتراح بإيجاد أو سرقة قارب صيد لعبور بحر البلطيق لم يعد طـريقة مأمونة ، وخلص لوكاسيفكس إلى أن السماح بمرور بعض الـوقت حتى يمكن التغلب على مشكلة العبـور يجعل لندن أكثر اقتناعاً .

بعد ذلـك وصلت رسالـة من ماركسيس إلى بـرودواى تفيد أن كليمكانـس مازال

يبحث عن طـريق آمن وسيكون على اتصـال وفى ريجا كان لـوكاسيفكس على ثقـة من نجاح الخدعة الجديدة .

فى غضون ذلك كانت عمليات إعادة تنظيم المركز فى موسكو تجرى على قدم وساق بعد وفـاة ستالين وبيريا ممـا أدى إلى موافقة المركـز على الاقتراح دون تدقيق أو تعليق وتم إبلاغه أن فرع كـى ـ جى ـ بى فى استونيا فى محاولة لإعـادة ثقة اس ـ أى ـ اس فى شبكات البـارتيزان قـد سمح بعودة هنيوكـاركمان عميل اس ـ أى ـ اس إلى لندن مع كلوس عندما حمل القارب لوكس عائداً من لندن .

ولما كان لـوكاسيفكس معـزولا عن الغرب فقد فشـل فى فهم مغزى التغيرات التى حدثت فى صفوف العاملين فى برودواى خاصة فى المنطقة الشمالية .

جاء تقاعد ميتيزيس عام ١٩٥٢ وانتهاء مواقع القوة مثل كار وجيبسون وآخرون فى الدور الـرابع من الذين انضمـوا إلى الخدمة فى اس ـ أى ـ اس بعد الثـورة البلشفية قضى تماماً وإلى الأبـد حلم توجيه ضربة واحـدة قاضية إلى الشيوعية . أمـا خلفاؤهم الـذين عملوا كخبراء فى الشئـون السـوفيتية مثل جـون بروس لـوكهـارت وهارولـد شيرجولد وجاك ايستون وهم شهود عيـان على تفوق الاتحاد السوفييتى فى ألمانيا فقد كانوا أكثر حماسة وأقل عاطفة من أسلافهم .

ورغم أن هـؤلاء العـاملين الجدد سيعـانـون من هـزائم أمـام كى ـ جى ـ بى وسيوصمون بـالاختراقات الموخذية إلا أنهم مثل معظم أبناء جيل مابعـد الحرب كانوا كثيرى الانتقاد لأسـلافهم وآبائهم وجـاءت عودة كاركمان لتـؤكد شكـوكهم فى هؤلاء الأسلاف .

جاءت تقارير كاركمان فى لندن بمثابة صدمة لكل من ريبان وسكوت حيث كشفت النقاب عن أنـه عرف كل شىء عن عمليـات اس ـ أى ـ اس فى الاتحاد السـوفييتى فور وصوله إلى هناك قادما من لندن .

وأخذ يشرح بالتفصيل كيف أن جميع الشبكات مخترقة من كى ـ جى ـ بى وكيف استطاع إخفاء شكوكه طوال فترة إقامته فى استونيا وإقناع البارتيزان أنه بمجرد عودته سيشجع إس ـ أى ـ إس على تقديم المزيد من المساعدات .

لقد كان وصول لوكس وفرصة التبديل الروتينى تمثل فرصة تدبير هروبه .

جـاء رد فعل اس ـ أى ـــ اس إزاء ماكشف عنـه كاركمان متحفظـاً وتم استدعـاء مـاكبن لإجراء استجـواب مفصل وتم إرسال النتـائج إلى سى ـــ أى ـ إيـه والتى ألقت باللوم على العملاء وماكبن دون الاعتراف بمهارة الخصوم أو إلقاء اللوم على كار .

وعند هذه النقطة اراد خلفاء مكيبين وكار دفن القصـة المحزنة برمتها حيث تأكدوا أن المكاسب من وراء استمرار هذه التمثيلية المملوءة بـالألغاز قليلة جداً . إلى جانب ذلك توصلوا إلى أنه لاتـوجد أى فرصة لإنقاذ عملاء اس ـ أى ـــ اس والذين يوجد منهم على الأقل أحد عشر عميلاً داخل دول البلطيق .

بصعوبة شديدة أعطى الضباط البريطانيون اهتماما إلى أولئك من أمثال زيجماس كوديركا الذى كان يعيش فى فيلينيوس وأرسـل العديد من الخطابات خلال عام ١٩٥٥ يطلب عـودته بسبب نفـاذ النقود كما كتب خطـابات إلى زيمانتـاس وحتى ادمونـدس اعترف فيها بعدم وجود فرصة لعمل أى شىء ذى قيمة .

جاء رد بـرودواى إلى ادموندس حـاسماً : « لم يعد من الممكن تنفيـذ عمليات عن طـريق البحر » وكـان تبرير بـرودواى للتخلى عن العملاء بأنهم متطـوعون من تلقـاء أنفسهم ويعرفون حجم الأخطار ولايمكنهم أن يحتجوا على النتائج .

على النقيض من ذلك ركـز سكـوت على اقتراح مـاكسيس الأخير بضرورة عـودة كليمكانس إلى لندن حيـث أن وجوده سيكون فرصة جـاءت من السماء لاختبار جميع الشكوك إلا أن برودواى كانت تخشى من قيام كى ـ جى ـ بى بإغراء ٢٠٨ اس لدخول المياه الإقليميـة السوفيتية وأسر كلوس وهـذه مخاطرة غير مقبولـة إلا أن الذى أدهش سكوت هو إصرار ماكسيس على سفر كليمكانس إلى بريطانيا .

فى بدايـة عام ١٩٥٦ تحدثت مـاكسيس مرة ثـانية عن المشـاكل التى تحول دون توفير قارب وطلبوا بإلحاح ارسال ٢٠٨ اس إلا أن جبرائيل رد بـوجود أسباب سياسية تحول دون إرسـال القارب وكـان السبب الذى قـدم قريبـاً من الحقيقة وهـو الزيـارة المرتقبة للزعماء السوفيت بولجانين وخروشوف .

فقد طلب مكتب رئيـس الوزراء من اس ـ أى ـــ اس عدم تنفيـذ أى عمليات قبل أو خلال الزيارة التاريخية حتى لايتم إحراج الضيوف .

أرغمت رسالـة اس ـ أى ـ اس الحازمـة لوكاسيفكس ومـركز موسكـو على إعادة دراسة كيفية إثارة البريطانيين لقبول مسئولية عملية السفر إلا أن هذه الأفكار تعرضت

لمقاطعة بسبب رسالة غير متوقعة من سيلاراجس فى ٢٢ يونيو ١٩٥٦ تنص : « لن نستطيع مساعدتك بعد الآن » وتؤكد : لن نرسل لك بعد الآن أى مساعدات مادية أو معنوية لآن جميع المنازل الآمنة نسفت ويتعين عليك يافيستورز ـ الاسم الكودى لكليمكانس لدى إس ـ أى ـ إس ـ ألا تحضر وتبقى فى منزلك .

وتضمنت الرسالة مانصه : ان الرحلة فى غاية الخطورة وستهدد جميع منظماتنا الأخرى .

دمروا أو احتفظوا بأجهزة الإرسال والشفرات وهذه آخر رسالة من طرفنا حتى تتحسن الأمور .. نحن على استعداد للاستماع إليك حتى يوم ٣٠ يونيو ، ومن الآن فصاعداً فليساعدك الله ! .

مثلت هذه الرسالة ضربة إلى لوكاسيفكس إلا أنه بدأ التفكير فى حلول طائشة حيث كانت عبارات رسالة سيلاراجاس ودية جداً ولاتوحى بأى إشارة باكتشاف الحقيقة وربما يكون فى ذلك بصيص من الأمل .

نظراً لان لوكاسيفكس لايحيط بشىء من الشئون البريطانية كان من الصعب عليه أن يعرف خلفية رسالة سيلاراجاس فقد كانت اس ـ أى ـ اس تمر بمرحلة من الاضطراب .

خلال زيارة الزعماء السوفيت أرسلت اس ـ أى ـ اس ليونيل (بوستر) كراب وهو غطاس مسن لفحص جسم المدمرة السوفيتية الراسية فى مرسى بورت سموث إلا أن كراب اختفى وإزاء الاحتجاجات السوفيتية وتسرب أنباء المغامرة واجهت المخابرات البريطانية فضيحة غير مسبوقة لعصيان أوامر رئيس الوزراء . سرعان ماتكشفت الأخطاء الفادحة لـ اس ـ أى ـ اس عندما أعلن السوفيت عن نجاح كبير لمخابراتهم فى بولين من خلال حفر نفق للتجسس على الغرب تحت مقار القيادة السوفيتية إضافة إلى وجود أخطاء فادحة للمخابرات البريطانية فى الشرق الأوسط .

ونتيجة لذلك أصبح ثمن الإدارة الخاطئة معروفاً فى اس ـ أى ـ اس وفى نهاية الأمر تم إحلال سير ديك وايت فى رئاسة ام ـ أى ـ فايف (ام ـ أى ـ ٥) بدلا من السير جون سنيكلاير بعد تردد طويل نتيجة عدم تصديق الشك فى قدراته .

وكان هدف هذا التغيير هو إعادة تنظيم جهاز المخابرات ليشمل الأفراد العاملين وأساليب العمل للحيلولة دون وقوع مزيد من الأخطاء والإحراج المربك .

نجح هارى كار فى ترتيب لقاء بعد مشقة مع المدير الجديدليفوز بسبق إبلاغ وايت حول المراحل النهائية لعمليات البلطيق وكان كار معروفا بأنه يعمل بأسلوب يلائم الحقبة الأمبراطورية ولايعرف شيئا عن توازن القوى الجديد فى العالم ـــ وقد تمت المقابلة خلال إحدى زياراته الدورية من كوبنهاجن بهدف تقديم تقرير إلى وايت حول المراحل النهائية لإنهاء عمليات البلطيق .

فى واقع الأمر تمثل رسالة سيلاراجس الأخيرة إلى ماكسيس إحدى طرق برودواى لكنس الخزانة وتنظيفها قبل وصول المكنسة الجديدة إلا أن مثابرة لوكاسيفكس أدت إلى خنق الخطة فى مهدها بعد أن أعلنت المنطقة الشمالية أن عملياتها فى البلطيق تمت من منطلق الاهتمام التاريخى ! .

بعد أربعة أيام من رسالة سيلاراجس النهائية رد كيبورس وهو أحد العاملين فى تشغيل أجهزة الإرسال فى مجموعة ماكسيس وفى أول فرصة لتنفيذ الخطة المتفق عليها أرسل رداً قال فيه : « نحن نواجه كثيراً من الأخطار والمشاكل وأنك طعنتنا بسكين من الخلف .. نحن فى انتظار مساعدتك ولايمكنك أن تتخلى عنا .. فيستوس سيصل بمفرده نظراً للأخطار التى تواجهنا » .

إن إرسال كليمكانس فى ظل الظروف السائدة ـ كعملية استخبارية بحتة ـ هو عمل طائش إلا أن لوكاسيفكس كان غير قادر أو غير راغب فى تصديق أن فيتولنيس لم يحقق على الأقل نجاحاً جزئياً . بالفعل تم فى الساعات الأولى من صباح الثانى من يوليو ١٩٥٦ إنزال كليمكانس على شاطىء جوتلاند .

وما أن وطأت قدماه رمال الشاطىء حتى استسلم للشرطة المحلية وطلب نقله إلى لندن لمقابلة تشالز زارينس .

ولما كان السويديون لايعرفون شيئا عن خلفية هذا اللاجىء لذا لم يكونوا فى عجلة من أمرهم ويريدون بشدة معرفة مايدور لدى جارهم المباشر وتم وضع كليمكانس رهن الاحتجاز لمدة شهرين لإجراء استجوابات عادية غير مؤثرة وفى شهر سبتمبر تم السماح له بالمغادرة إلى لندن .

بعد وصوله قام كليمكانس بتسليم نفسه إلى اس ـ أى ـ اس لاستجوابه . اعتقد لوكاسيفكس أن العام الناجح الذى قضاه العميل فى لندن سيرجح بشدة كافة مزاياه إلا أن تجربة فيتولنيس والأحد عشر عاما الماضية من سذاجة اس ـ أى ـــ اس دفعته إلى التقليل من جبروت وقدرة اس ـــ أى ـــ اس عند اللزوم .. ورغم أن مسار الأحداث

سيكون مختلفاً إلا أنـه كان هناك اتفاق على أن استقبـال فاتر لكليمكانـس قد جرى فى الدقائق الاولى .

بدا موقف سيلاراجس متراوحا بين العصبية والسخـرية فقد كان من الواضح أن اللاتفى يفضل بقاء كليمكـانس بعيدا عن لندن . فإذا ماتم اكتشـاف حقيقة كليمكانس واستمـر سكوت شغـوفـا للبحث عن الحقيقـة فإن سيـلاراجس نفسـه سيكون هـو الضحية القادمة .

توقع سيلاراجس ألا يعامل « سكوت » هـذا الوافد الجديد بنفس الأدب الانجليزى المعروف الـذى عامل به من قبل فيتـولنيس وتأكد من ذلك مباشرة بعـد رفض سكوت طلبه بالسماح لكليمكانس بزيارة تشارلز زارنيس . ومع توقع سيلاراجس لما هو أسوأ قـام بإفشاء الأخبـار إلى السفير .. وكتب زارمنس فى مفكرتـه اليوميـة فيما بعد « لقـد تعرضنا للخيـانة من شخصيات لاتفية بارزة .. مما عـرض بعض من الشباب الصغار للسجن أو للقتل » .

كانت مهمة سكوت الخاصة تتمثل فى ضرورة اكتشاف كيف نفذت كى ـ جى ـ بى عمليات الخداع .. تم نقل كليمكـانس إلى إحدى الشقق المعزولـة سيئة التهويـة فى لندن حيث بقى هناك لمدة ثلاثـة أشهر يتم استجوابه يوميا بالنهـار وأحيانا فى الليل دون أن يتعرض لأى ممـارسات تعـذيب وحشية . إلا أن عملية الاستجـواب كانت منظمـة جداً وتهدف إلى ممـارسة ضغـوط نفسيـة حتى يصـاب بالإرهـاق حتى يعترف وفى نهايـة الأسبوع الرابـع بدأت قوة تحمله البـدنية تنهار . واستمرت عمليـة الاستجواب ثمانية أسابيع أخرى .

رواية ماحـدث خلال هذه الاسابيع والتى ضمنها لوكـاسيفكس فى ملفاته اتسمت بحرص لوكاسيفكس على مصالحه الذاتية وحمايـة سمعته أمام مرؤسيه الذين أمضوا سنـوات قـاسية فى الغـابـات بعيـداً عن عـائلاتهم وتضمنت الروايـة مـايشير إلى أن كليمكانس قد تعرض لأعنف شكل من أشكال الاستجواب الممكن .

وكتب لوكاسيفكس أن كليمكانس قد وقع فى زنزانـة بدون نوافذ فى لندن وتعرض للتعذيب الوحشى حتى يعترف بـالحقيقة ثم تطورت عملية الاستجـواب إلى عملية أكثر وحشية بعد حرمـانه من النوم وتقديم الطعام المملح إليه ليـأكله وأخيراً تم حقنه بمواد كيمياوية . وقـد حكى لوكاسيفكس بعض العاملين معه أن المحقق أخـذ يلوح بمسدس محشوٍ بالطلقـات فى مواجهة كليمكانس . وفى نهاية الشهور الثـلاثة أصبح كليمكانس

حطام انسـان ورغم الشجاعة التى أبداها وسط نوبـات من فقدان الوعى إلا أنـه فقد قدرته على المقاومة وبدأ فى الإدلاء باعترافات كاملة .

وأكد لوكاسيفكس فى حديث مع كيبورس أن الرجل استطاع أن يصمد أمام تعذيب وحشى لايمكن ان يطيقه أى انسـان إلا أن كيبورس رأى من جانبه أن كليمكـانس عند عودته قد تعرض لعملية إعادة توجيه وطلب علاجا طبيا ومع ذلك رفض العرض الاخير من اس ـ أى ـ اس ليعود ليعمل عميلاً بريطانياً .

الحقيقـة قد تكـون مختلفة نسبيـا عما قيل سـابقاً حيث انهارت مقـاومة الـرجل بمجهود اقل مما ذكر وأدلى باعترافات كاملة ليدمر بذلك آخر ذرةمن ثقة اس ـ أى ـ اس فى اللاجئين وعندمـا كرر تمسكه بعدم الإفصـاح عن التفاصيل الكاملـة للعملية عرض عليه سكوت فـرصة العمل مع اس ـ أى ـ اس وفيما كان الرجل يفكـر فى قبول العرض حتى يضمن عودتـه سالما كانت خيوط اس ـ أى ـ اس مع مصيدة كى ـ جى ـ بى قد تمزقت تماما.

فى أغسطس وبعد إشارة بالراديو من لوكس إلى استونيا سافر تريبان إلى هلسنكى للقاء العميل ورافقه فى الرحلة هنيوكاركمان الذى كان أول من كشف عملية خداع كى ـ جى ـ بى ولكن اللقـاء لم يتم وبدلا من ذلك تلقى ريبان إشارة أخـرى من لوكس يطلب فيها أن يأتى إلى استونيا أو على الأقل يتم اللقاء فى البحر . إلا ان ظهور نوايا كى ـ جى ـ بى أعاد ريبان إلى لندن مخلفا على الأقل أربعة من عملاء اس ـ أى ـ اس فى استونيا وأثر إرساله رسالة نهائية توقف عن الاتصال بالراديو وترك بعدها اس ـ أى ـ اس .

وقـد بقى كاركمان فى اسكنـدنافيـا وعمل على سفينة تجاريـة سويـدية كضـابط اتصال وبعد ذلك بوقت قصير تم اغتياله .

فى غضـون ذلك كانت العمليـات فى ليتـوانيا فى طـريقهـا إلى الزوال ففى الـرد على استغاثـات زجماس كوديـركا من أجـل إنقـاذه أرسل إليه زيمانتـاس إشارة فى يـوليو قائـلاً : (لانستطيع تدبير إعادتك إن موقفك ليس سيئـاً حاول تدبير هروبك عن طريق السـويد) وفى شهـر سبتمبر وفور وصـول كلينكـانس إلى لندن تم إلقـاء القبض على كوديركا .

وهو فى حـالة مـن الرعب واجـه اثنين من المحققين هما الجنرال جـورمونـراموف وبيتيوركـاربوتشين ومتبعـا قواعد اس ـ أى ـ اس فى الاكتفـاء بعرض قصـة الغلاف

وانكار أية اتهامات ولكن الحضور الذين يدخنون بشراهة سخروا منه وقال كاربوتشين : « نحن نعرف كل شيء .. خذ سيجارة واستمع » وخلال حوالى ربع ساعة قام ضابط كى ـ جى ـ بى بشرح أدق تفاصيل مهام كوديركا فى اس ـ أى ـ اس واستطرد قائلا : « إن ادموندس رجلنا وعليك أن تعترف بما حدث تماما وهذا سيساعدك فى المحاكمة والرفض لن يفيدك فى شيء » ورد كوديركا : إن كل ماكنت أريده هو مساعدة بلادى والدراسة فى الجامعة . وقد طلب الادعاء خلال محاكمته توقيع عقوبة السجن لمدة ٢٥ عاما إلا أن المحكمة قضت عليه بالسجن لمدة ١٥ عاما فقط .

على الجانب الآخر انتهت محنة كليمكانس بصورة أسرع فمع حلول شهر نوفمبر وبعد ان أكل واستراح نظم له سكوت حفل وداع . ووفقا لما رواه لوكاسيفكس قال ضابط اس ـ أى ـ اس : « سنعيد إرسالك إلى روسيا ولكننا نريدك أن تحمل معك رسالة أبلغ أساتذتك أننا شاكرون لهم الدروس إلا أننا لسنا حمقى وأخيراً أبلغهم أن يعاملوا رجالنا كما عاملناك »

لم يكن هناك أى إيحاء على عقد صفقة أو استرداد عملاء بريطانيين مقابل ضابط كى ـ جى ـ بى .

ونظراً لخوف اس ـ أى ـ اس المفهوم من أن إجراء أى محاكمات علنية لعملائها فى روسيا سيؤدى إلى فضيحة دولية مخزية فقد كانت تفتقد إلى أى قوة تفاوض .

وكانت مصادفة أن يتم حل العقدة نهائيا فى لندن متزامنا مع انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى فى موسكو حيث أدان نيكيتاخروشوف عن الجرائم التى ارتكبتها كى ـ جى ـ بى فى عهد ستالين . ووجدت القيادة السوفيتية الجديدة عدم فائدة تذكر من وراء تمجيد انتصارات نظام بيريا .

وهكذا تم اقتياد كليمكانس بواسطة ضباط اس ـ أى ـ اس إلى مطار حربى خارج لندن وهناك انتظر العميل السوفيتى فى قلق حتى استوت الطائرة فى الارتفاع ليعرف الاتجاه الأخير .

ثم بدأ فى الاسترخاء عندما طارت فى اتجاه الشرق وبعد الهبوط والخروج من مطار استوكهولم كانت هناك سيارة ليموزين ذات مقاعد مريحة انطلقت بركابها بسرعة إلى داخل المدينة حيث توقفت أمام السفارة الروسية فى ١٧ فيلا جاتان وهناك قال المرافق

البريطانى بسعادة هانحن قد وصلنا إلى المكان الذى نقول لك فيه مع السلامة .

خرج كليمكانس من السيارة وطرق بـاب السفارة وغادرت السيارة قبل أن يسمع صوت قفل الباب يفتح ليدخل إلى مبنى السفارة .

بعد عـودته إلى روسيا مكث فى المستشفى عـدة أسابيع وبعـد أن تعافى حصل على نجمـة حمراء ودعى إلى الانضمام إلى الحزب الشيوعـى أما كيبـورس الـذى ذكاه فقـد حصل على نجمتين .

اما العملاء البريطانيون فلم يكن موقفهم واحداً ففى حين تم تنفيذ حكم الإعدام فى بعضهم وقضى آخرون عشرين عاما فى السجون خـارج موسكو تم معاملة عدد منهم بـرفق . على سبيل المثال جـوناس جـانيتـز كاس وهـو ليتوانى أرسل لتشغيل جهـاز الارسال مـع جوناس ديكنيـز تم الإفراج عنهـم بدون محاكمـة بعد أن قضى عـاما فى السجن وأفرج عن زيجماس كوديركا بعد عامين فقط رغم الحكم عليه بالسجن لمدة ١٥ عاما .

وفى صدفـة غير متوقعة التقى مع ادمـوندس على رصيف المحطة فى فيلينـوس بعد رحلة دامت ١٤ ساعة بالقطار من موسكو وذهب معا إلى إحدى المتنزهات القريبة حيث شرح له ادموندس عمليـة الإفراج عنه مبكراً وقال له ضابط الـــ كى ـ جى ـ بى إنك لم تقتل أحداً ولم تكن شيئاً .

لقد قتل العـديد من الناس خلال سنـوات مابعد الحرب ولـذلك فإنك سعيد الحظ لأنك لم تواجه سوى عقوبة السجن . وقال : إن الطريـق الوحيد الذى كان لدينا لوضع نهاية للحرب كانت هو السيطرة على الناس الذين يحاولون إشعال النار .

بعد هذه المحـادثة ترك كليمكانس المنتزه متوجهـا للقاء عشيقته التى لم تكن تعلم بالقبض عليه وليرى ابنه لأول مرة والذى ولـد بعد القبض عليه . وخلال سنوات إعادة التكيف لم يـوجه غضبـه إلى الـ كى ـــ جى ـــ بى إنما إلى البريطانيين والأبـر عائلتـه أن البريطـانيين هم الذين أوقعـوه فى الشرك وتخلـوا عنه بعـد ذلك تماما وقـال : « إنهم لم يعيدوا إلىَّ حتى ممتلكاتى الشخصية » .

لقد واجه عمـلاء اس ـ أى ـ اس المهاجـرون الثلاثة مصيراً مختلفاً بعـد أن طردوا جميعا من الخدمة فى نهاية عام ١٩٥٥ . سيلاراجـس فكر فى بداية الأمر فى افتتاح محل تجارى فى بيكونيسفيلد إلا أنه فعل مثل غيره مـن الاوروبيين الشرقيين الذين خافوا من

انتقام كى ـ جى ـ بى وبحثوا عن حياة جديدة وهوية جديدة فى كندا حيث توفى فى نهاية السبعينات .

أما زيمانيتس الليتوانى فقد رفض عرضاً للتدريس فى جامعة اكسفورد وفضل الهجرة إلى لوس انجلوس وسافر وهو محطم روحيا وعاطفيا بعد كشف النقاب عن حالات الفشل والموت والخداع وعمل طوال أحد عشر عاما بعد ذلك بستانى وحفار قبور فى مقبرة محلية ومات مخبولا عام ١٩٧٣ .

وهاجر ألفونس ريبان من بريطانيا بعد طرده من الخدمة إلى مدينة اوجسبرج فى ألمانيا الغربية وباعتباره ضابط اس ـ اس سابق فى ألمانيا فقد استحق بطريقة تلقائية الحصول على معاش وقبل أن يسقط ميتا بسبب إسرافه فى شرب الكحول قام بإحراق جميع أوراقه الخاصة بطريقة منظمة ـ وكما أخبر أحد زملائه أنه قام بهذا على أمل عدم اكتشاف كى ـ جى ـ بى لمصيبته .

على الجانب الآخر رقى لوكاسيفكس إلى رتبة جنرال وقضى عقد الستينات فى مركز موسكو وفى ديسمبر عام ١٩٧٢ وصل إلى لندن ليعمل سكرتيرا أول للسفارة السوفيتية باسم ياكوف كونستا نتينوفيتش بوكاشيف وطوال ثمانية سنوات تولى إدارة عمليات مكافحة التجسس فى بريطانيا ولم يتنبه أى واحد فى جهاز اس ـ أى ـ اس للعلاقة بين بوكاشيف وكارثة البلطيق .

ولسخرية الأقدار كان يسكن فى منزل يقع فى ٣٤ هولاند بارك على بعد مرمى حجر من مبنى مفوضيات دول البلطيق الثلاث التى أصبحت أشباحا من مخلفات فترة منسية وفى بعض الأحيان خلال نزهته الليلية كان يمر بالمبانى المزخرفة المهجورة لتذكره بنجاحه .

ولدى عودته إلى ريجا عام ١٩٨٠ عبأ حقيبة بأشياء تذكارية من بريطانيا وحتى وفاته عام ١٩٨٨ كانت حوائط شقته المريحة تحمل شواهد من إقامته السعيدة فى لندن .

وتردد أن لوكاسيفكس أصبح عاشقا لانجلترا وعند تقاعده بالغ فى تصوير أساطير نجاحه العظيم وزعم أن آخر رسالة تلقاها من برودواى للإعلان عن عودة كليمكانس عام ١٩٥٥ تضمنت « باسم الملكة نرجوك أن تحفظ هذه المسألة سراً » .

فى نوفمبر ١٩٥٧ زار كيم فيلبى لوكاسيفكس فى ريجا حيث قام بهذه الزيارة بعد

أن وهن وضعف فى سن الخامسة والسبعين وكان سبب الزيارة جزئياً أن يقدم تحياته إلى منزل رئيسه فى كى ــ جى ـ بى فى اسبانيا جانيس بيرزنيس إلى جانب القيام بنوع من الخداع السياسى للإيحاء من خلال التليفزيون الممل أن المظاهرات القومية التى تجتاح دول البلطيق تتم بتدبير من جهاز المخابرات البريطانية .

وكذلك الظهور فى برنامج تليفزيونى خاص يعده لوكاسيفكس للاحتفال بالذكرى السبعين لإنشاء كى ـ جى ـ بى وقال فى البرنامج مخاطبا المشاهدين من أبناء لاتفيا فى تفسير الاحتجاجات القومية فى الشوارع : « إنهم يفعلون بالضبط الآن ماكانوا يفعلونه على أيامى وأنا أعرف كل شىء عن ذلك » ولكن كما أسر فيلبى فيما بعد إلى لوكاسيفكس خلال حوار دار معه وتم تسجيله بناء على طلب الثانى اعترف فيلبى أنه لم يشارك أبداً فى عمليات كار فى البلطيق بعد عام ١٩٤٧ ولم يكن يملك أى دليل على فشلهم .

ان المزاعم غير المباشرة التى وردت فى سيرته الذاتية المعتمدة من كى ــ جى ـ بى بأنه السبب وراء إلقاء القبض على عملاء المخابرات البريطانية كانت فى ذلك الوقت محاولة أخرى من أساتذته للتعتيم على دوره الحقيقى الذى كان يتمثل فى إعلام مركز موسكو حول نجاح خطط الخداع .

قبل عودته إلى موسكو قام فيلبى برفقة لوكاسيفكس بجولة فى المدينة تاركا أبناء البلطيق غير مصدقين أن المظاهرات التى تسير فى الشوارع تنادى بحق تقرير المصير يدبرها محرضون رأسماليون حتى لوكاسيفكس نفسه لم يكن يصدق هذا التفسير .

فى واقع الأمر أفضى ضابط كى ـ جى ــ بى إلى زملائه بمساندته لسياسة الجلاسنوست الجديدة لدرجة أن البعض شك فى أنه يؤيد حدوث نوع من بعث جديد لاستقلال لاتفيا . ومع ذلك لم يرد حد أنه منذ أربعين عام قام عملاء المخابرات البريطانية والمشرفين عليهم بالسعى لتحقيق نفس الأهداف التى يسعى إليها القوميون خلال عهد الجلاسنوست الذى أعرب عن ترحيبه به .

أما كار الذى كان متقاعداً فى منزله فلم يشعر بارتياح إزاء الأنباء الواردة من دول البلطيق وكان قد بلغ سن الثامنة والثمانين يكافح بشق الأنفس ليعيش يومه علاوة على أنه عكس لوكاسيفكس لم يكن سعيدا باجترارذكريات الماضى .

كان مدير المنطقة الشمالية قد تقاعد عام ١٩٦١ دون أن يتلقى أى تكريم جديد وكان يحيط نفسه بذكريات الطفولة والميداليات الرياضية التى حصل عليها فى المدرسة ويستطيع فقط الاستماع إلى أغانى بيوتر لشنكوا ومستغرق إلى مالانهاية فى التفكير

حول أين ولماذا تم الكشف عن أسرار عملياته . وكانت إجابته التى لم تتغير أنه فيلبى الذى كان لجوءه إلى موسكو تفسيرا مريحاً لجميع مصائبه . كان يحمل مقتاً مميزاً لفيلبى ـ وحسب ماجاء فى التايمز فى نعيه أن خيانة فيلبى كانت سبباً فى وفاة العديد من الذين عرفهم كار فى روسيا ، وسواء كان كار يعرف الخطأ المجهول أم لا فإنه عندما جاء المؤرخون الشباب من المكتب لاستكمال التفاصيل المفقودة من سجل حياته الشخصية وجد كار من المناسب التعتيم واستند على سمعته بأنه مغرق فى السرية . لقد أصبحت القيم مختلفة جداً حالياً عما كانت عليه فى أيامه حتى المبنى تم نقله من سانتا جيمس إلى مكان كئيب يسمى سنيشرى هاوس ولايوجد أحد فى هذا المكان يفهم معنى المصيدة الحمراء .. لقد خدم بلاده وقضيته بإخلاص وأمانة وحب وهذا كل مايحتاج العالم إلى معرفته .

توفى كار فى مارس عام ١٩٨٨ وتم دفن جثمانه فى احتفال خاص بسيط فى جويلفورد وكانت صفحة الوفيات فى التايمز أول من عرَّف ولديه وأخيه عن عمله وعذابه طوال الثلاثين عاما الماضية إلا أنهم لم يدركوا بسهولة طبيعة الجراح .

بعد ذلك بشهرين توفى كيم فيلبى فى موسكو وفى موكب مهيب تم تكريم أحد خونة الأمة علنا فقد جنبه كار المحاكمة وبعد ستة أشهر وفى العاشر من نوفمبر مات جانيس لوكاسيفكس فى ريجا . وهكذا بعد سبعين عاما من الثورة البلشفية ورَّث ناسج المصيدة « ترست » لجيل جديد من المجرمين .

بدون شك سيجدون أيضاً جيلا جديداً ليكون ضحية لهم .

* * *